بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

كتاب **البيان والتحصيل، والشرح والتوجيه والتعليل، في مسائل المستخرجة**، للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، كتاب حافل من أمهات الفقه المالكي، يطابق اسمه مسماه بياناً وتحصيلاً وشرحاً وتوجيهاً وتعليلاً لمسائل كتاب **المستخرجة** لمحمد العتبي، من أسمعة تلامذة الإمام مالك بن أنس منه. استغرق تأليفه اثنتي عشرة سنة، وأودعه ابن رشد جميع معارفه الفقهية التي اكتسبها من دراساته الواعية المستوعبة **للمدونة** وما كتبه عليها أئمة المذهب في نحو سبعة أجيال من شروح واختصارات وتعليقات، ومن تأملاته وتجاربه الشخصية في التدريس والإفتاء والقضاء، فجاء **البيان والتحصيل** خلاصة وافية محيطة بالفقه المالكي عباداته ومعاملاته، في أسلوب جزل سلس مشرق حبا الله به علماء الأندلس وأدباءها وقيل عنه إنه يتبادر إلى الأذهان، ويدخل الآذان بغير استيذان. لذلك عفّى **البيان والتحصيل** على **المستخرجة** التي طالما ولع بها الأندلسيون وحفظوها عن ظهر قلب، وكان لها عند أهل أفريقية القدر العالي والطيران الحثيث ــ حسب عبارة ابن حزم ــ فلم يعد **للمستخرجة** في فهارس فقهاء الغرب الإسلامي، فيما بعد القرن السادس ما كان لها في الفهارس السابقة من العناية رواية وقراءة وسماعاً. ولعل أبا بكر بن خير الإشبيلي (٥٠٢ ــ ٥٧٥هـ) آخر من احتفل في **فهرسته بمستخرجة العتبي**، ورواها بالسند عن مؤلفها من ثمانية طرق، لأنه لم يتمكن من قراءة **البيان والتحصيل** على ابن رشد، وإنما أخذه عنه بالإجازة العامة لصغر

سن ابن خير آنذاك[١]. بل لعل أكبر دليل على هذه التعفية وفرة مخطوطات **البيان والتحصيل** اليوم، وندرة **مستخرجة العتبي** حتى لا تكاد تعرف لها ولو مخطوطة واحدة مستقلة تامة أو ملفقة في مختلف مكتبات العالم.

ويسترعي الانتباه في كتاب ابن رشد مسائل ثلاث:

١ ــ **التسمية** التي اختلف فيها الرواة كاملة ومختصرة، فسماه بعضهم[٢] **كتاب البيان والتحصيل**، ودعاه آخرون[٣]: **البيان والتحصيل، لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل**، بينما سماه غيرهم: **البيان والتحصيل، والشرح والتوجيه والتعليل**، في مسائل المستخرجة. وقد اخترنا هذه التسمية الأخيرة لأمور أربعة:

(أ) أنها المثبتة كعنوان لجميع المخطوطات العتيقة التي وصلت إلينا من عصر المؤلف والقرون التالية، كجزء من مخطوطة[٤] عليها سماع المؤلف ومعارضتها بالأصل معه، ومخطوطة القرويين الأثرية المكتوبة عام ٧٢٠ التي سنتحدث عنها بعد قليل. وجزء من مخطوطة أخرى[٥] كتبت

---

(١) انظر فهرست ابن خير الإشبيلي، ص ٢٤١ ــ ٢٤٣.

(٢) القاضي عياض، **الغنية**، ص ٥٤.

(٣) ابن بشكوال، **الصلة**، ٢: ٥٧٧، ونقلها عنه محمد المقري في **أزهار الرياض**، ٣: ٦٠.

(٤) مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، رقم ٩٣ ق؛ وهو السفر ٢١ من البيان والتحصيل، وعليه تملك مؤرخ بعام ٨٠٥، وتملك آخر للملك زيدان بن أحمد المنصور السعدي بخطه وعلامته.

(٥) مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، رقم ١٢٢ ك. وهو الجزء الأخير من تجزئة ثمانية، وفيه كتب الجامع التسعة كلها. وعليه تملك جماعة من علماء فاس منهم أحمد الونشريسي صاحب **المعيار**.
ومن المخطوطات العتيقة التي تحمل اسم **البيان والتحصيل، والشرح والتوجيه والتعليل**، بخروم خزانة القرويين بفاس:
ــ جزء ثالث منتسخ عام ٧٠٠ (خروم القبة السعدية، صندوق ٣، عدد ١٦٧).
ــ أوراق من جزء انتسخ في ٢٤ شعبان عام ٧٠٤ وقوبل بالأصل المنتسخ منه (صندوق ٧٥، عدد ٤٣٤).
ــ أوراق من باب الديات عليها تحبيس أبي عنان المريني على مدرسته المتوكلية بفاس (صندوق ٦٤، عدد ٣/ ٣٧٠).

بغرناطة عام ٨٧٩ بخط أحمد بن عبد الله الأنصاري الشهير بالبقني. إلى غيرها كثير.

(ب) وكذلك ذكرها أبو بكر بن خير الأشبيلي معاصر المؤلف وتلميذه بالإجازة العامة في **فهرسته**، وأحمد بن يحيى الضبي في **بغية الملتمس**[٦].

(ج) **وهي التسمية المطابقة لواقع الأمر، إذ الشرح والتوجيه والتعليل إنما هي من عمل ابن رشد في البيان والتحصيل**، وليس شيء منها في **المستخرجة**، وإنما هي سماعات مجردة، وحتى الحوار الموجود في بعضها إنما يجري بين صاحب السماع والإمام في صورة سؤال وجواب لا غير.

(د) والفقهاء الذين تحدثوا عن **البيان والتحصيل**، ابتداء من تلميذ المؤلف أبي الحسن ابن الوزان في **نوازل ابن رشد**، إلى أحمد الونشريسي في **المعيار**، كثيراً ما اختصروا اسم الكتاب فدعوه **البيان** تارة، **والتحصيل** تارة، **والشرح** أخرى، وأكثر ما يدعونه بالشرح، وهي كلمة نفتقدها في التسميات التي اطَّرحناها.

٢ ــ الترتيب الذي وقفنا عليه في مخطوطات البيان والتحصيل مختلف اختلافاً قليلاً أو كثيراً، سواء بتقديم بعض الكتب (الأبواب) أو تأخيرها على أخرى تقديماً أو تأخيراً متقاربين في نفس القسم (الرزمة)[٧]، أو متباعدين في

---

(٦) انظر **فهرسة** ابن خير الإشبيلي، ص ٢٤٣، **وبغية الملتمس**، ص ٤٠.

(٧) الأبواب في **المستخرجة** ــ كما هو الحال في **المدونة** ــ تسمى كتباً، وتدعى أيضاً أجزاء. وإذا طال الكتاب أو تنوعت محتوياته عُدِّد، فكان مثلاً كتاب الوضوء الأول وكتاب الوضوء الثاني إلى الرابع، وكتاب الجامع الأول، وكتاب الجامع الثاني... إلى التاسع. ومجموع الأبواب المتجانسة تدعى رزمة. ومجموع رزم **المستخرجة والبيان والتحصيل** سبع:

١ ــ رزمة الشرائع، وفيها ٢٠ كتاباً.
٢ ــ ورزمة النكاح، وفيها ١٥ كتاباً.
٣ ــ ورزمة البيوع، وفيها ١٥ كتاباً.
٤ ــ ورزمة الأقضية، وفيها ٣٢ كتاباً.

=

أقسام (رزم) مختلفة. ولسوء الحظ لم تصلنا نسخة كاملة من الأصول التي قرئت على المؤلف أو سمعت منه إلا جزءاً واحداً[٨] مشتملاً على ثمانية كتب: من كتاب كراء الدور والأرضين إلى كتاب المساقاة. وأقدم مخطوطة تامة وقفنا عليها لـكتاب **البيان والتحصيل** هي مخطوطة خزانة القرويين الأثرية المكتوبة في صدر المائة الثامنة في جزء واحد، السالمة بطبيعتها من أي خلط أو تلفيق[٩] وترتيبها يكاد يطابق تماماً ترتيب مخطوطة تمگروت التي اعتمدناها في التحقيق، وهي أخت المخطوطة الملكية التي أمر سيدي محمد بن عبد الله بانتساخها عام ١١٧٤ ــ ١١٧٥ بإشراف أربعة من كبار القضاة[١٠].

وكان بالإمكان أن نطمئن إلى هذا الترتيب الذي اعتمدناه لولا ما فيه من اختلاف مع محتوى رزم **البيان والتحصيل** التي سردها ابن الوزان في آخر **نوازل ابن رشد**، مثل الجهاد الذي له كتابان في مخطوطاتنا، وباب واحد في رزمة البيوع، وكتابي الاستبراء وتضمين الصناع الواردين في قسم الشرائع من مخطوطاتنا، وهما في رزمة البيوع كذلك عند ابن الوزان. ولعل هذا الاختلاف في ترتيب كتب **البيان والتحصيل** راجع إلى طول مدة تأليفه (١٢ سنة) وكثرة الآخذين عن ابن رشد من العدوتين، فكانوا يسارعون إلى انتساخ الكتب عند تمامها ثم يرتبونها بطريقة غير موحدة. وربما أشعر بوجود هذا الاختلاف في حياة المؤلف جلوسه قبيل وفاته إلى سماع **البيان والتحصيل والمقدمات** في أصل أذن

= ٥ ــ ورزمة العتق، وفيها ١٢ كتاباً.
٦ ــ ورزمة الحدود، وفيها ٧ كتب.
٧ ــ ورزمة الجامع، وفيها ٩ كتب. فمجموع الكتب أو الأجزاء ١١٠.

(٨) انظر الهامش رقم ٤.

(٩) انظر الهامش رقم ٤٧.

(١٠) تحمل رقم ١٥٥٦ في المكتبة الحسنية (الملكية) بالرباط، وتقع في ٢٠ مجلداً، وقف على انتساخ الأجزاء الخمسة الأولى منها محمد التاودي ابن سودة، وعلى الخمسة الثانية عمر بن عبد الله الفاسي، وعلى الخمسة الثالثة محمد بن عبد الصادق، وعلى الخمسة الأخيرة عبد القادر بن العربي بوخريص. وأربعتهم مترجمون في **إتحاف المطالع**. لعبد السلام بن سودة.

بانتساخ الناس منه ومعارضته بالمسودة التي انتسخ منها. ومهما يكن من أمر الاختلاف في الترتيب فلا خطر فيه طالما بقي محتوى الكتاب كاملاً غير منقوص، وقديماً قالوا: صح به سواء قُدم أو أُخر.

٣ ـ **التجزئة** كذلك غير موحدة في نسخ **البيان والتحصيل**، فإذا غضضنا الطرف عما ذكره أبو الحسن ابن الوزان في آخر **نوازل ابن رشد** من أن **البيان** يقع في عشرة ومائة جزء، لأن الجزء يعني الكتاب أو الباب كما ذكرنا، فإننا نجد لهذا الكتاب تجزآت كثيرة لكنها ملفقة في الغالب من نسخ مختلفة لا يمكن الاطمئنان إليها. والتجزآت الثابتة التي وقفنا عليها سبع: جزء واحد في مخطوطة القرويين الأثرية المذكورة آنفاً، وسبعة أجزاء في مخطوطة بالمكتبة الحسنية (الملكية) بالرباط[١١]، وثمانية أجزاء في مخطوطة ناقصة بالخزانة العامة بالرباط[١٢]، وتسعة أجزاء في المخطوطة التي انتسخت منها المخطوطة الأثرية السابقة الذكر، وستة عشر جزءاً في مخطوطة بالمكتبة الحسنية بالرباط[١٣]، وثمانية عشر جزءاً في مخطوطة تمگروت التي اعتمدناها في التحقيق[١٤]، وعشرون جزءاً في المخطوطة الملكية المزخرفة المذهبة بالمكتبة الحسنية بالرباط[١٥]، وواحد وعشرون جزءاً في أقدم المخطوطات التي وصلت إلينا، إلا أنها للأسف ناقصة لا توجد منها إلا أجزاء قليلة موزعة بين خزانتي فاس والرباط[١٦]. وهذه

(١١) تحمل رقم ١٥٤٣، وهي حديثة كتبت عام ١٢٥٢.

(١٢) انظر الهامش رقم ٥.

(١٣) تحمل رقم ٧٧٧٢، وتنقصها بعض الأجزاء.

(١٤) تحمل في الخزانة العامة بالرباط رقم ٤٣٩ ق، وقد كتبت في فاس بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الله في صفر عام ١١٧٨.

(١٥) انظر الهامش رقم ١٠.

(١٦) مثل الجزء الثاني المسموع من ابن رشد المشار إليه في الهامش رقم ٤، والجزئين السابع والواحد والعشرون من مخطوطة خزانة القرويين بفاس المنتسخة بخط أندلسي جيد في ٢٤ شعبان عام ٧٠٤، وعليها تحبيس السلطان أبي عنان المريني بخطه على الخزانة العلمية التي أنشأها بالجانب الشرقي من جامع القرويين، بتاريخ أوائل ذي الحجة عام ٧٥٠.

الأخيرة هي التجزئة الصحيحة التي كانت على عهد المؤلف فيما يظهر، وهي الموافقة لقولة القاضي عياض عنه: «نَيَّفَ على عشرين مجلداً»[١٧]. وقد عُرف النساخ منذ القديم بتصرفهم في تجزآت ما ينتسخونه من كتب وعدم تقيدهم بتجزآت المؤلفين، في كثير من الأحيان. وقد اخترنا تجزئة ١٨ تبعاً للمخطوط «الأصل» الذي اعتمدناه لكونه أقرب إلى الحجم الطبيعي لأجزاء الكتب المتداولة.

أما عن قيمة **البيان والتحصيل**، ومكانته بين أمهات كتب المذهب، فإنه استوعب مسائل **مستخرجة** الأندلسيين **ومدونة القرويين** اللتين كان فقهاء الغرب الإسلامي في القرون الأولى يحفظونهما عن ظهر قلب، ويقطعون أعمارهم في تدارس ما كتب حولهما أو حول **المدونة** بالخصوص من شروح وتعليقات وتنبيهات وزيادات وتفريعات واختصارات. وقد تمكن ابن رشد بما أوتي من عبقرية نادرة من أن يطلع على كل ما كتب قبله وينقده نقد الفقيه المجتهد في نطاق المذهب المالكي، ويحرره بأسلوب واضح يستوي في إدراكه المبتدي والشادي، ثم أضاف إلى ذلك **المقدمات المهدات**، وهي: «مبنية على مقدمات من الاعتقادات في أصول الديانات، وأصول الفقه في الأحكام الشرعيات، لا يسع جهلها ولا يستقيم التفقه في حكم من أحكام الشرع قبلها... فإذا جمعه الطالب إلى هذا الكتاب حصل على معرفة ما لا يسع جهله من أصول الديانات وأصول الفقه، وعرف العلم من طريقه، وأخذه من بابه وسبيله، وأحكم رد الفرع إلى أصله، واستغنى لمعرفة ذلك كله عن الشيوخ في المشكلات، وحصل في درجة من يجب تقليده في النوازل المعضلات»[١٨].

هكذا لم يُرد ابن رشد أن يغني كتاباه: **البيان والتحصيل**، **والمقدمات المهدات** الدارسين للفقه عن قراءة الكتب المشتبكة المتراكمة المتقدمة فحسب، ولكنه أراد أن يستغنوا بهما عن الشيوخ أيضاً ما دام الفقه قد أصبح مصفىً جلياً

(١٧) الغنية، ص ٥٤.

(١٨) مقدمة البيان والتحصيل، ص ٣٢.

موطأ الأكناف. ولو شاء الله وكان أمر المسلمين آنذاك إلى إقبال لاكتفوا بهذين الكتابين عما سواهما، وعمَّروا أوقاتهم بدراسة ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم بدلاً من التكرار والاجترار وحكِّ الألفاظ وتراكم المختصرات والشروح والحواشي والطرر بما أفسد الفقه وجمَّده وكان من أسباب التأخر الفكري عند المسلمين(١٨م).

محمد ابن رشد:

أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد (الجد)(١٩) فقيه الأندلس وعالم

(١٨م) وقد اختصر **البيان والتحصيل** محمد بن أبي القاسم المشذالي مفتي بجاية وخطيبها المتوفى عام ٨٦٦. انظر أحمد بابا، **نيل الابتهاج**، ص ٣١٤.

(١٩) ترجم لمحمد ابن رشد الجد: بحسب الترتيب الزمني.

ـ تلميذه أبو الحسن بن عبد الرحمن ابن الوزان في خاتمة **نوازل ابن رشد**، مخطوطة خزانة القرويين بفاس رقم ٣٧٨.

ـ تلميذه القاضي عياض في **الغنية**، (تحقيق ماهر زهير جرار ـ دار الغرب الإسلامي بيروت، ١٩٨٢)، ص ٥٤ ـ ٥٧.

ـ تلميذه أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي، **فهرسة**، (طبعة جديدة عن طبعة سرقسطة سنة ١٨٩٣ باشراف زهير فتح الله، ١٩٦٣)، ص ٢٤٣.

ـ تلميذه خلف بن عبد الملك ابن بشكوال في **الصلة**، (الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦) ٢: ٥٧٦ ـ ٥٧٧، رقم ١٢٧٠.

ـ محمد بن عياض، **التعريف بالقاضي عياض**، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة، (مطبعة فضالة ـ المغرب بدون تاريخ)، ص ١٢٣.

ـ أحمد بن يحيى الضبي، **بغية الملتمس**، (طبعة جديدة عن طبعة مجريط القديمة سنة ١٨٨١) ص ٤٠، رقم ٢٤.

ـ محمد بن إبراهيم الحجاري ومن معه، **المُغرب في حلي المَغرب**، (تحقيق د. شوقي ضيف، سلسلة ذخائر العرب (١٠) بدون تاريخ) ١: ١٠٥.

ـ ابن القطان، **نظم الجمان**، بتحقيق الدكتور محمود علي مكي (المطبعة المهدية، تطوان، بدون تاريخ) ص ١٠٧ مع الهامشين ١، ٢.

ـ محمد بن أحمد الذهبي، **تذكرة الحفاظ** (الطبعة الثانية، حيدر أباد الدكن ١٣٣٣هـ) ٤: ٦٥.

=

= ــ ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب القرطاس**، تحقيق الهاشمي الفيلالي (المطبعة الوطنية بالرباط، ١٩٣٦) ٢: ٨٩.

ــ صلاح الدين الصفدي، **الوافي بالوفيات** (سلسلة النشرات الإسلامية التي تصدرها جمعية المستشرقين الألمان ١٩٦٢) ٢: ١١٤.

ــ عبد الله بن سعد اليافعي، **مرآة الجنان**، (حيدر أباد الدكن، ١٣٣٧هـ) ٣: ٢٢٥ في سنة ٥٢٠.

ــ ابن الحسن النباهي، **المرقبة العليا** (مصر، ١٩٤٨) ص ٩٨.

ــ إبراهيم ابن فرحون، **الديباج المذهب**، (الطبعة الأولى بمصر عام ١٣٥١هـ) ص ٢٧٨.

ــ أحمد ابن القنفذ القسنطيني، **شرف الطالب**، باعتنائنا، (دار المغرب بالرباط ١٩٧٦) ص ٦٠.

ــ مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، بتحقيق د. سهيل زكار، وعبد القادر زمامة ص ٩٠، ٩٧ ــ ٩٨.

ــ مؤلف مجهول، **مفاخر البربر**، بعناية ليڤي بروڤنسال، (الرباط ١٩٣٤) ص ٥٣.

ــ أحمد المقري، **أزهار الرياض**، (طبعة وزارة الأوقاف المغربية عام ١٩٨٠، المصورة عن طبعة بيت المغرب بالقاهرة عام ١٩٣٩) ٣: ٥٩.

ــ حاجي خليفة، **كشف الظنون** (مطبعة وكالة المعارف باسطمبول، ١٩٤١ ــ ١٩٤٣) ص ٣٦١، ١٩١٢.

ــ عبد الحي بن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب** (المكتب التجاري بيروت. دون تاريخ) ٤: ٦٢.

ــ إسماعيل البغدادي، **هدية العارفين** (اسطمبول، ١٩٥١) ٢: ٨٥.

ــ محمد بن مخلوف، **شجرة النور الزكية** (دار الكتاب العربي بيروت، ١٣٤٩هـ)، ص ١٢٩، رقم ٣٧٦.

ــ محمد الحجوي، **الفكر السامي** (مطبعة إدارة المعارف بالرباط والبلدية بفاس ١٩٢٦ ــ ١٩٣٠) ٤: ٥٤، رقم ٦٠٤.

ــ عباس بن ابراهيم المراكشي، **الإعلام** (المطبعة الملكية، الرباط ١٩٨٠) ٤: ٥٢ ــ ٥٨.

ــ ك. بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ١: ٣٨٤.

ــ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، الطبعة الثانية ٦: ٢١٠.

ــ عمر رضى كحالة، **معجم المؤلفين** (مطبعة الترقي في دمشق ١٩٥٧) ٨: ٢٢٨. =

العدوتين، ولد في قرطبة عام ٤٥٠هـ/١٠٤٨م، وبها نشأ وتعلم على يد أعلام علماء الأندلس، كفقيه قرطبة أبي جعفر بن رزق (ت ٤٧٧)[٢٠]، والفقيه الحافظ أبي عبد الله محمد بن خيرة الأموي المعروف بابن أبي العافية (ت ٤٨٧)[٢١]، والمحدث المسند أبي العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري الدلائي (ت ٤٧٨)[٢٢] وإمام اللغة في الأندلس أبي مروان عبد الملك بن سراج (ت ٤٨٩)[٢٣]، وزعيم المفتين بقرطبة أبي عبد الله محمد بن فرج المعروف بابن الطلاع (ت ٤٩٧)[٢٤] ورئيس المحدثين بها أبي علي حسين بن محمد الغساني الجياني (ت ٤٧٨)[٢٥]. وغيرهم من كبار الشيوخ. وأخذ عنه عدد لا يحصى من طلبة الأندلس والمغرب، من أشهرهم قاضي الجماعة بقرطبة محمد بن أصبغ الأزدي (ت ٥٣٦)[٢٦]، وجامع نوازل ابن رشد الفقيه أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الوزان (ت ٥٤٣)[٢٧]، والقاضي عياض بن موسى السبتي (ت ٥٤٤)[٢٨] والمحدث الفقيه أبو مروان عبد الملك ابن مسرة اليحصبي (ت ٥٥٢)[٢٩]، والمحدث محمد بن يوسف ابن سعادة مؤلف كتاب

= ــ الدكتور إحسان عباس، نوازل ابن رشد (مجلة الأبحاث للجامعة الأميركية بيروت، السنة ٢٢، ج ٣ ــ ٤، ديسمبر ١٩٦٩) ص ٣ ــ ٦٣.

(٢٠) انظر ترجمته عند ابن بشكوال، الصلة، ١: ٦٥ ــ ٦٦، رقم ١٤٠.

(٢١) انظر ترجمته في الصلة كذلك، ٢: ٥٥٤ ــ ٥٥٥، رقم ١٢١٦.

(٢٢) ترجمته كذلك في الصلة، ١: ٦٦ ــ ٦٧. رقم ١٤١.

(٢٣) انظر ترجمته كذلك في الصلة، ٢: ٣٦٣ ــ ٣٦٥، رقم ٧٧٦.

(٢٤) ترجمته في المصدر السابق، ٢: ٥٦٤ ــ ٥٦٥، رقم ١٢٣٩.

(٢٥) ترجمته في المصدر السابق، ١: ١٤٢ ــ ١٤٤، رقم ٣٣٠.

(٢٦) ترجمته أيضاً في الصلة، ٢: ٥٨٥ ــ ٥٨٧ رقم ١٢٨٨.

(٢٧) ترجم له أيضاً ابن بشكوال في الصلة، ٢: ٥٩١ رقم ١٢٩٨.

(٢٨) ترجمة القاضي عياض مبسوطة في كتاب التعريف بالقاضي عياض، لولده محمد، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة (مطبعة فضالة بدون تاريخ). وكتاب أزهار الرياض في أخبار عياض، لأحمد المقري (طبعة الأوقاف المغربية في ٥ أجزاء ١٩٨٠).

(٢٩) ترجم له ابن بشكوال في الصلة ٢: ٣٦٦ ــ ٣٦٧ رقم ٧٨٠.

شجرة الوهم (ت ٥٦٦)[٣٠]، والحافظ المفسر أبو الحسن علي بن عبد الله الأنصاري المعروف بابن النعمة (ت ٥٦٧)[٣١]، والمؤرخ خلف بن عبد الملك ابن بشكوال صاحب **الصلة** (ت ٥٧٨)[٣٢].

كان محمد ابن رشد ــ بإجماع من ترجموا له ــ ناسكاً عفيفاً، كريم الخلق سهل الحجاب، كما كان أستاذاً بطبعه، يحب التدريس ويحسن طرق التبليغ، تسعفه مادة غزيرة، وتفكير منظم، وعبارة منطلقة، وحرص على نفع الطلبة. ولم ينل ابن رشد تقدير الأوساط العلمية ببلده وكفى، بل أجله الناس في العدوتين، حتى أمير المسلمين ملك المرابطين في مراكش، واعتقده أهل قرطبة بصفة خاصة وأحبوه لأنه كان إمامهم وخطيبهم في الجامع الأعظم الذي كان يسع أهل المدينة جميعاً، ورأوا فيه العالم بالشريعة المتحلي بها، إياه يستفتون في مسائل دينهم ودنياهم، وإليه يفزعون فيما يلم بهم من ريب الدهر ونوائبه. وإذا كنا لا نعرف من أخبار ابن رشد في الفترة التي عاشها في القرن الخامس إلا ما لا يكاد يختلف بين عالم وآخر في مركز ثقافي مزدهر كقرطبة، فإن لدينا ــ بعكس ذلك ــ معلومات تلقي بعض الضوء على نشاطه العلمي والسياسي ومكانته الاجتماعية الممتازة خلال العقدين الأخيرين من حياته، كتبها هو نفسه أو بعض تلامذته.

فقد جاء في مقدمة **البيان والتحصيل** أن جماعة من فقهاء جيان أصحاب ابن رشد جاؤوه في صدر عام ٥٠٦ وبعض الطلبة من أهل شلب يقرأ عليه في كتاب الاستلحاق من **العتبية**، فمر بمسألة أشكلت على القارىء والحاضرين، فشرحها لهم بما أزال غموضها، ورغبوا إليه أن يتتبع عويص هذا الكتاب بالشرح والبيان، فرد عليهم ابن رشد بأن **العتبية** كلها بحاجة إلى توجيه وتوضيح، ضارباً لهم المثل بأول مسألة فيها تتعلق بالوضوء، تبدو وكأنها لا غبار

(٣٠) ترجم له ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة** (طبعة مجريط، سنة ١٨٨٦) ١: ٢٢٣ ــ ٢٢٦. رقم ٧٥٦.

(٣١) ترجمته في المصدر السابق ٢: ٦٦٩، رقم ١٨٦٣.

(٣٢) ترجمته في المصدر السابق، ١: ٥٣ ــ ٥٨ رقم ١٧٩.

عليها مثيراً حولها أحد عشر سؤالاً لم يحيروا لها جواباً، «فتنبهوا لذلك وشرهوا إليه وحرصوا عليه» واشتد إلحاحهم، فلم يجد ابن رشد بداً من إسعافهم والشروع في تحرير كتاب **البيان والتحصيل** مرحلة مرحلة، حتى إذا حل عام ٥١١ وقد أكمل نيفاً وخمسين جزءاً، أي نحو نصف الكتاب، امتُحن بالقضاء، وشغلته أمور المسلمين عن التأليف، فلم يعد يتفرغ إليه إلا يوماً واحداً في الأسبوع ينقطع فيه عن الناس. ومضت أربعة أعوام هكذا في القضاء لم ينجز خلالها الشيخ إلا أربعة كتب أو خمسة، قال: «فأيست من تمامه في بقية عمري إلا أن يريحني الله تعالى من ولاية القضاء، وكنت من ذلك تحت إشفاق شديد وكرب عظيم، وذكرت ذلك لأمير المسلمين وناصر الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين ــ أدام الله تأييده وتوفيقه ــ في جملة الأعذار التي استعفيت بسببها، وغبَّطته بالأجر على تفريغي لتمامه، فقبل الرغبة فيما رغَّبته فيه من الثواب، وأسعف الطلبة فيه لما رجاه بأن تثقل بذلك موازينه يوم الحساب...»[٣١م].

وتدارك ابن رشد ما فاته أيام القضاء بعد إعفائه منه أواسط عام ٥١٥، فأقبل بكليته على كتابة ما بقي من **البيان والتحصيل** حتى أتمه في مستهل ربيع الآخر من عام ٥١٧. ثم طلبوا منه أن يمهد له بمقدمات تنبىء عن مسائله، فرأى أن يكتفي **بالمقدمات المهدات**[٣٢م] التي كان يوردها أثناء تدريسه **للمدونة** بعد أن هذبها ورتبها، لتشابه أبواب **المدونة والمستخرجة**.

(٣١م) مقدمة البيان والتحصيل ص٣٠ ــ ٣١. وبهذا يتبين أن اعتزال ابن رشد القضاء كان برغبة ملحة منه وترغيب لعلي بن يوسف بن تاشفين في ذلك، وهذا هو النص الأصلي الذي حاول ابن أبي زرع اختصاره في **القرطاس** وقال عنه الدكتور إحسان عباس: «والنص غامض مضطرب، إذ أن موضع الشكوى غير واضح». أما ما يشير إليه النص من وجود سبب آخر للاستعفاء فهو هياج العامة بالأندلس ضد المرابطين مما هو مفصل عند ابن القطان في **نظم الجمان**، وابن عذاري في **البيان المغرب**.

(٣٢م) **سننشرها كاملة في ثلاثة أجزاء كمقدمة للبيان والتحصيل**. وقد سبق لمطبعة السعادة بمصر أن نشرت ــ بدون ذكر تاريخ ــ القسم الأول من المقدمات المنتهي بباب كراء الدور والأرضين في جزءين، ثم أعادت دار صادر ببيروت طبعها بالأوفسط أخيراً.

وجلس ابن رشد في أول المحرم من عام ٥١٨ لإسماع كتابه **البيان والتحصيل** بعد أن استخرج منه أصلاً أباح للناس أن يكتبوا منه، فكان يقرأ فيه تلميذه أبو مروان ابن مسرة، والشيخ ممسك بالمسودة التي نقل منها ذلك الأصل وقوبل بين يديه، وذلك في مجلس حافل بَملأ من الفقهاء، وظل هـذا المجلس ينعقد بانتظام طوال عشرين شهراً قرؤوا خلالها ثمانية وتسعين جزءاً (أو كتاباً) من **البيان والتحصيل**[٣٣]، إلى أن طُوي بساطه بالكائنة العظمى التي حلت بالأندلس بسبب خروج الطاغية ابن رذمير (الفونس الأول المحارب ملك أراگون) في حركة عارمة اكتسحت الأندلس من الشمال إلى الجنوب، بتواطؤ مع النصارى المعاهدين المقيمين بين أظهر المسلمين، الذين كانوا قد راسلوا الطاغية عندما رأوا انحلال سلطة المرابطين ورغبوه في غزو البلاد وأغروه بما فيها من خيرات واعدين إياه النصرة والمعونة. وقد باغت الصليبيون المسلمين في شهر رمضان من عام ٥١٩ وجاسوا خلال ديارهم يعيثون فيها فساداً، يتلفون ويحرقون، ويقتلون ويأسرون[٣٤]، وطالت هذه الهيعة نحو نصف سنة إذ لم تنته إلاَّ بانكسار العدو الكافر بموضع يقال له أرنيسول بضواحي قرطبة[٣٥] يوم الأربعاء ٢٣ صفر عام ٥٢٠.

وقد استخلص ابن رشد العبرة من هذه الكائنة المشؤومة، وأدرك أن مباغتة المسلمين بحرب طحنتهم رحاها على حين غرة ودون مقاومة تذكر راجعة إلى أسباب ثلاثة: خيانة المعاهدين المقيمين بين أظهر المسلمين، وانكشاف

---

(٣٣) بقي بدون قراءة اثنا عشر جزءاً أو كتاباً: ثلاثة من رزمة الحدود، وكتب الجامع التسعة. إذ مجموع أجزاء البيان والتحصيل كما تقدم ١١٠ جزءاً أي كتاباً.

(٣٤) انظر أخبار هذه الغزوة المسيحية في **الحلل الموشية** (الطبعة الجديدة) ص ٩١، وما بعدها.

(٣٥) وردت هذه الكلمة عند المقري في **أزهار الرياض** (٣: ٦١) محرفة بالربنيول وعلق عليها المحققون بأنها كذلك في الأصل ويظنونها محرفة، واستدرك الأستاذان سعيد أعراب ومحمد بن تاويت (ص ٤ من نفس الجزء في الطبعة الجديدة) بأن صوابه الرينسول، وهو مكان يقع جنوبي غرناطة نقلاً عن **الحلل الموشية**. لكن أبا الحسن ابن الوزان في خاتمة **نوازل ابن رشد** نص على انهزام ابن رذمير «بموضع يقال له أرنيسوال على مقربة من قرطبة» وروايته أصح للمعاصرة والعيش في نفس المكان.

معظم المدن والقرى وبقاؤها عورة دون تحصين، وعجز أمير الأندلس أبي طاهر تميم وتقاعسه في الدفاع عن البلاد، لذلك شد ابن رشد الرحلة ــ على كبر سنه ــ إلى مراكش[٣٦] (٣ ربيع الأول عام ٥٢٠) ليُطلع أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين على جلية الأمر. وقد نزل ابن رشد على الرحب والسعة في بلاط الملك المرابطي الذي استضافه شهراً تعرف منه خلاله على أحوال شبه الجزيرة، واستفتاه في أمور أخرى تهم شؤون الدولة، وكان مما أشار به ابن رشد على علي بن يوسف تسوير حاضرة مراكش قائلاً له: «لا يحل لك أن تسكنها مكشوفة» وكان من نتائج رحلة ابن رشد أن أخذ الملك في تسوير مدينة مراكش ومدن الأندلس[٣٧]، وأمر بإزعاج النصارى الذين نكثوا العهد عن ديارهم وإجلائهم إلى مكناس وسلا وغيرهما من مدن العدوة، وذلك أخف عقاب لهم كما جاء في فتوى ابن رشد، وعقد البيعة بولايةالعهدلابنه تاشفين الذي أصبح حاكم الأندلس، ولو أننا لم نعرف الكيفية التي تمت بها تنحية الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين أكانت بالعزل أو بالموت، إذ يذكر المؤرخون أن وفاته كانت في نفس سنة ٥٢٠.

وما كاد ابن رشد يرجع إلى قرطبة ويدخلها ضحى يوم الأربعاء ٢٢ جمادى الأولى عام ٥٢٠ حتى تهافت عليه طلبته الفقهاء يسألونه العودة إلى إسماع ما بقي من **البيان والتحصيل** أو **المقدمات الممهدات**، فآثر رغبة من رغب

---

(٣٦) تذكر معظم الروايات أن الملك المرابطي علي بن يوسف هو الذي استدعى ابن رشد ليقدم عليه في مراكش، غير أن صاحب **الحلل الموشية** (ص ٩٠ ــ ٩١ من الطبعة الجديدة بالدار البيضاء) جعل مجيء ابن رشد إلى مراكش عام ٥١٩، وابن القطان في **نظم الجمان** (ص ١٠٧) جعل ذلك عام ٥٢٢، وكلاهما سبق قلم. وقد نبه على وهم ابن القطان الدكتور محمود علي مكي في الهامش ٢ بنفس الصفحة، إلا أنه جعل رحلة ابن رشد إلى مراكش في أواخر عام ٥١٩، وذلك غير صحيح، لما تقدم من نص ابن الوزان الصريح.

(٣٧) كان يوسف بن تاشفين قد بدأ تسوير مراكش ثم توقف عنه لضخامته وطوله، فأتمه ابنه علي بن يوسف بإشارة من ابن رشد وأنفق في ذلك أموالاً طائلة كما أمر علي بن يوسف بتسوير المدن والقرى المكشوفة بالأندلس وترميم أسوار ما خرب منها، واستمرت هذه العملية سنوات بعد وفاة ابن رشد. انظرها في **نظم الجمان والبيان المغرب**.

في **المقدمات**، وأخذ أبو مروان ابن مسرة يقرؤها كذلك بين يدي الشيخ في مستهل جمادى الآخرة من نفس السنة، في الأصل الذي انتسخه الشيخ لنفسه وهو ممسك بالمسودة إلى أن أكملوا في اثنين وعشرين يوماً قراءة تسعة عشر جزءاً (أو كتاباً) ــ وعدة أجزاء المقدمات ٢٧ ــ فمرض الشيخ ولزم الفراش أربعة أشهر وأياماً ومات ــ رحمه الله ــ ليلة الأحد ١١ ذي القعدة عام ٥٢٠/٢٨ نونبر ١١٥٦، ودفن بمقبرة عباس مدفن سلفه شرقي مدينة قرطبة «وكان مشهده حفيلا، والتفجع عليه جليلا، لم ير أحد من أهل زمانا مشهداً أكثر تولهاً وتفجعاً منه. وبحق فقد كان ــ رحمه الله ــ طود علم، وإنسان فضل وحلم، وكوكب ذكاء وفهم، وواحد جلالة وديانة، وفذ رجاحة وأمانة...»[٣٨].

وألف محمد ابن رشد الجد غير **البيان والتحصيل والمقدمات الممهدات**:

ــ **نوازل ابن رشد**، في مجلد ضخم، جمعها تلميذه أبو الحسن ابن الوزان (وتسمى أيضاً الفتاوى، والأجوبة).

ــ **اختصار المبسوطة** ليحيى بن إسحاق بن يحيى بن يحيى الليثي (ت ٣٠٣)[٣٩].

ــ **تهذيب مشكل الآثار**، لأحمد الطحاوي الحنفي (ت ٣٢١).

ــ **النوادر**[٤٠].

ــ **المسائل الخلافية**[٤١].

---

(٣٨) هذا مما رثاه به تلميذه أبو الحسن ابن الوزان في خاتمة **نوازل ابن رشد**، ورثاه غيره من علماء قرطبة وطلبتها نثراً ونظمًا.

(٣٩) المبسوط يعني المطول، وهناك كتب مبسوطة كثيرة في الحديث والفقه والنحو غيرها، ذكر منها حاجي خليفة في كشف الظنون (٢: ١٥٨٠ ــ ١٥٨٢) عدداً غير قليل للمشارقة غير المالكية. ولم يذكر للمالكية حتى **مبسوط القاضي اسماعيل** البغدادي الشهير، وإنما ذكر لهم **مبسوط ابن عرفة**.

(٤٠) انظر **المعيار** (طبعة بيروت، ٨: ٢٩٠) وإن كان المعروف هو **نوادر ابن أبي زيد القيرواني**.

(٤١) انظر المصدر السابق، ١٠: ٣١٦.

ـ **حجب المواريث**[٤٢].

ـ **اختصار الحجب على مذهب مالك بن أنس مما روي عن زيد بن ثابت**[٤٣].

ـ **فهرسة**[٤٤].

وقد نسب الدكتور محمود علي مكي ـ خطأ ـ إلى محمد ابن رشد الجد كتاب **بداية المجتهد**، وهو مطبوع معروف النسبة لابن رشد الحفيد[٤٥].

محمد العتبي:

محمد بن أحمد العتبي[٤٦]، مولى عتبة بن أبي سفيان، القرطبي. فقيه حافظ راوية واعية، قال عنه تلميذه محمد بن لبابة (ت ٣١٤): «لم يكن هنا

---

(٤٢) انظر **فهرسة** ابن خير الأشبيلي ص ٢٦٦.

(٤٣) المصدر السابق في نفس الصفحة.

(٤٤) انظر **شجرة النور الزكية**، لمحمد مخلوف، ص ١٢٩.

(٤٥) **نظم الجمان** لابن القطان، ص ١٠٧ هامش ١.

(٤٦) ترجم للعتبي ـ بنفس الترتيب الزمني:

ـ محمد الخشني، **قضاة قرطبة**، باعتناء عزت العطار، (القاهرة ١٣٧٢) ص ٩٦.

ـ عبد الله ابن الفرضي، **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**، باعتناء عزت العطار، (القاهرة ١٩٥٤). ٢: ٨ ـ ٩ رقم ١١٠٤.

ـ محمد الحميدي، **جذوة المقتبس**، (تحقيق محمد بن تاويت الطنجي القاهرة ١٩٥٣). ص ٣٦ ـ ٣٧، رقم ٥.

ـ محمد بن إبراهيم الحجاري ومن معه، **المغرب في حلي المغرب**، تحقيق الدكتور شوقي ضيف (دار المعارف بمصر، ١٩٥٣) ١: ١٦٤.

ـ أبو بكر محمد بن خير الاشبيلي، **فهرسة**، (طبعة جديدة عن طبعة سرقسطة سنة ١٨٩٣ بإشراف زهير فتح الله، ١٩٦٣)، ص ٢٤١ ـ ٢٤٣.

ـ أحمد بن يحيى الضبي، **بغية الملتمس** (الطبعة الجديدة عن مجريط ١٨٨١) ص ٣٧، رقم ٩.

ـ علي بن محمد ابن الأثير، **اللباب في تهذيب الأنساب** (القاهرة، ١٩٥٦) ٢: ١١٩.

ـ صلاح الدين الصفدي، **الوافي بالوفيات** (١٩٦٢) ٢: ٣٠. =

ـ يعني الأندلس ـ أحد يتكلم مع العتبي في الفقه، ولا كان بعده أحد يفهم فهمه إلا من تعلم عنده»[٤٧] سمع بالأندلس من يحيى بن يحيى الليثي تلميذ الإمام مالك، وسعيد بن حسان راوية أشهب، ورحل إلى الشرق فسمع من سحنون وأصبغ بن الفرج تلميذي ابن القاسم وابن وهب وأشهب من أصحاب مالك. وألف كتابه **المستخرجة** من أسمعة تلاميذ الإمام مالك منه وأسمعة تلاميذهم منهم، وتوسع في الرواية فلم يستبعد المتروكة والشاذة منها، إذ «كان يوتى بالمسألة الغريبة فإذا أعجبته قال: أدخلوها في **المستخرجة**»[٤٨] وقد تضاربت آراء الفقهاء المعاصرين للعتبي في **المستخرجة** فانتقدها من أهل الأندلس محمد بن وضاح القرطبي وتلميذه أحمد بن خالد، ومن أهل مصر محمد بن عبد الحكم الذي قال: «رأيت جلها كذوبا ومسائل لا أصول لها؛ في حين تقبلها الجلة بقبول حسن لاستيعابها وشمولها، وتصدّر ابن لبابة الذي دارت عليه الأحكام بقرطبة نحو ستين سنة لإقراء **المستخرجة**، فأخذها عنه خلق كثير، وتبارى الناس في روايتها عنه وحفظها، وقال له يوماً أحمد بن خالد: تقرأ هذه **المستخرجة** للناس وأنت تعلم من باطنها ما تعلم؟ قال إنما أقرؤها لمن أعرف أنه يعرف خطأها من صوابها. وتقدمت قولة الإمام ابن حزم في التنويه بها.

= ـ إبراهيم بن فرحون، **الديباج المذهب** (القاهرة ١٣٥١) ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.
ـ **أحمد المقري، نفح الطيب**، تحقيق الدكتور إحسان عباس (دار صادر بيروت ١٩٦٨) ٢: ٢١٥ ـ ٢١٦، رقم ١٣٠.
ـ حاجي خليفة، **كشف الظنون** (اسطمبول ١٩٤١ ـ ١٩٤٣) ١١٢٤.
ـ عبد الحي بن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، (بيروت دون تاريخ) ٢: ١٢٩.
ـ محمد الحجوي، **الفكر السامي** (الرباط وفاس ١٩٢٦ ـ ١٩٣٠) ٣: ١٠١، رقم ٣٤٢.
ـ ك. بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ١: ١٨٦ (١٧٧) + **الذيل**، ١: ٣٠٠.
ـ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، (ط ٢) ٦: ١٩٧.
ـ عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين** (دمشق ١٩٥٧) ٨: ٢٧٦.

(٤٧) بنقل ابن فرحون، **الديباج**، ص ٢٣٨.
(٤٨) المصدر السابق، ص ٢٣٩.

والواقع أن العتبي حفظ في **المستخرجة** ــ فضلاً عن الروايات المشهورة ــ سماعات كثيرة من مالك وتلاميذه لولاه لضاعت، إلا أنه لم يتمكن من تمحيصها وعرضها على أصول المذهب ومقارنتها بالروايات الأخرى، حتى جاء محمد بن رشد فقام بهذه العملية النقدية في **البيان والتحصيل**، وأصبحت **المستخرجة** ــ بعد أن تميز فيها الصحيح من السقيم ــ خيراً وبركة وزيادة في فروع المذهب المالكي، وجزءاً لا يتجزأ من **البيان والتحصيل** أحد الكتب المعتمدة في الفتوى بالأندلس وسائر بلاد الغرب الإسلامي(٤٩).

وكانت وفاة محمد العتبي بقرطبة في ١٨ ربيع الأول عام ٢٥٥(٥٠).

عملنا في التحقيق:

اجتهدنا أساساً وقبل كل شيء في إخراج نصَّي **المستخرجة**، **والبيان والتحصيل** أقرب ما يكونان إلى الصحة، وذلك بمقابلة «الأصل» الذي اعتمدناه(٥١) بثلاث مخطوطات عتيقة من مكتبة القرويين بفاس:

الأولى أندلسية(٥٢) في عشرة أجزاء رمزنا لها بـ ق ١، وهي ملفقة بخطوط متقاربة، انتسخ السفر الثاني منها في شوال عام ٦٩٧، والثالث بغرناطة في غرة رجب عام ٨٥٩، والرابع كان الفراغ من مقابلته في ١٧ شعبان عام ٧٧٥، والخامس تابع لسابقه، والسادس مثله، والسابع عليه تحبيس أبي عنان المريني مؤرخ بعام ٧٥٠، والثلاثة الباقية لا تحمل تاريخاً.

والمخطوطة **الثانية**(٥٣) أندلسية ملفقة كذلك سباعية التجزئة رمزنا لها

---

(٤٩) انظر أحمد الونشريسي، **المعيار** (دار الغرب الإسلامي ــ بيروت) ١١: ١٠٩ ــ ١١٠.

(٥٠) هذه هي الرواية الصحيحة التي نقلها ابن الفرضي عن أحمد، وذكرها الحميدي في **الجذوة**. وقيل إنه توفي عام ٢٥٤ أو عام ٢٥٦.

(٥١) هي مخطوطة تمكّروت المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ٤٣٩ أوقاف، في ١٨ جزءاً، وقد تحدثنا عنها آنفاً في الهامش رقم ١٤.

(٥٢) هي مخطوطة خزانة القرويين رقم ٣٢٩.

(٥٣) هي مخطوطة القرويين رقم ٣٣٠.

ب ق ٢. انتسخ الجزء الثاني منها في ٢٩ شوال عام ٧٢٨، والأخير في ٢٠ صفر عام ٧١٢ بخط محمد بن محمد بن عياش القرطبي.

والمخطوطة الثالثة(٥٤) مغربية آية في فن الوراقة رمزنا لها بعلامة ق ٣، وقد انتسخت من أصل تساعي التجزئة بخط مغربي مليح دقيق جداً في جزء واحد يضم ثمانية عشر وثلاثمائة رق غزال بحجمه الطبيعي، فرغ من كتابتها يوم الاثنين ٢١ رجب عام ٧٢٠ أحمد بن علي بن أحمد الصنهاجي، وعليها تحبيس أبي الحس المريني على خزانة مدرسة عدوة الأندلس بفاس عام ٧٢٨.

وبالإضافة إلى هذه المخطوطات الأربع. هنالك ست مخطوطات أخرى بالمكتبة الحسنية والخزانة العامة بالرباط أشرنا إليها آنفاً ورجعنا إليها عند الاقتضاء، وسابعة بخزانة المعهد العالي بتطوان ــ سابقاً ــ عشارية التجزئة، وبعض أجزاء من مخطوطة ثامنة بخزانة ابن يوسف بمراكش رجعنا إليها كذلك عند الضرورة، إلى أجزاء من مخطوطات كثيرة أخرى. وعنينا ــ علاوة على المقابلة ــ بذكر أرقام الآيات والسور، وتخريج الأحاديث والآثار، وشرح ما لابد من شرحه من مفردات وعبارات وإشارات، وذلك قليل بحكم وضوح أسلوب ابن رشد وتتبعه لكل مشكل وغامض بالحل والتبيين.

ولن أختم هذه الكلمة دون أن أتقدم بالشكر الجزيل للزملاء الفقهاء النبلاء الذين أبوا إلا أن نعمل متعاونين في إحياء هذا التراث الفقهي العظيم، وهم الأساتذة:

ــ الحاج أحمد الحبابي من علماء جامعة القرويين بفاس.
ــ سعيد أحمد أعراب الأستاذ بالمعهد الأصلي بتطوان.
ــ محمد عبد القادر العرايشي محافظ قسم المخطوطات بخزانة الجامع الأعظم بمكناس.

(٥٤) هي مخطوطة القرويين رقم ٢ ح ك. وقد وصفها المرحوم الأستاذ العابد الفاسي في قائمة نوادر المخطوطات المعروضة بمناسبة مرور مائة وألف سنة على تأسيس جامعة القرويين (مطبعة النجمة ــ الرباط، ١٩٦٠) ص ٣٦.

ـ أحمد الشرقاوي إقبال الأستاذ بمدرسة العلمين الاقليمية بمراكش.

ـ أحمد الخطابي الأستاذ بكلية أصول الدين بتطوان.

ـ أحمد بنشقرون القاضي المستشار رئيس الغرفة الشرعية بالمجلس الأعلى.

كما أشكر شكراً جماً الإخوة الأساتذة الكرام:

ـ الدكتور سعيد بن البشير وزير الشؤون الثقافية.

ـ محمد العربي الخطابي محافظ المكتبة الحسنية.

ـ عبد الرحمن الفاسي محافظ الخزانة العامة بالرباط.

ـ محمد الدباغ محافظ خزانة القرويين بفاس.

على ما بذلوه لنا من مساعدة لا حدّ لها، للقراءة والتصوير والمقابلة، وكذلك سائر العاملين بهذه المكتبات، جزاهم الله جميعاً أحسن الجزاء.

سلا، في فاتح رجب الفرد الحرام
عام ١٤٠٣/١٤. ٨٣/٤

محمد حجي

obeikandi.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم،
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلّم

الحمد لله الكبير المتعال، العزيز المُهَيْمن ذي العظمة والجلال، المنفرد بصفات الكمال، المنزّه عمّا نحله أهلُ الزَّيْغِ والضلال، المعبود بكل مكان، والمُسبَّحِ بكل لسان، في كل حين وأوان، مصرِّف الأَزمِنة والدُّهور، وجاعل الظلمات والنور، وباعث من في القبور يوم النشور، ليجازي المحسن بإحسانه الذي هداه إليه، ويعاقب المسيء على إساءته التي قدّرها عليه، بإرادته السابقة، وحكمته البالغة، لا لنفع يصل إليه بطاعة المطيعين، ولا لضرٍّ يلحقه بعصيان العاصين، تعالى الله عن ذلك أعدل الحاكمين، خلق الإنسان من سلالة من طين، ثمّ جعله نطفة من ماء مهين، في قرار مكين، ثمّ نفخ فيه من روحه وأنشأه خلقاً آخر في أحسن تقويم، وهدى بفضله من شاء منهم إلى الصراط المستقيم، ووفقه لما ارتضاه من الدين القويم، الذي جعله طريقاً إلى ما أعدّه لأوليائه من الكرامة في جنات النعيم، ورفع فيها درجات من أراد به خيراً ففقّهه في الدين، وجعله مقتفياً لآثار من سلف من الأئمة المهتدين، حمداً يقتضي رضاه، ويوجب المزيد من زلفاه. وصلى الله على محمد نبي الرحمة، [والداعي إلى ربه][1] وهادي الأمّة، وخاتم النبيئين، وسيد المرسلين، ورسول رب العالمين، إلى الخلق أجمعين، الشافع في

(١) ما بين معقوفتين ساقط من ق ١.

المذنبين، [وقائد الغُرّ المحجَّلين، يوم الجزاء بالدين، إلى دار المحسنين المطيعين، ومأوى الأولياء المقربين][٢]، وعلى أزواجه وذريته وأهل بيته وجميع صحبه البررة الراشدين المهديين، الذين ارتضاهم الله لصحبته، واختارهم لنصرته، فنصروه في حياته، وقاموا بإحياء الدين بعد وفاته، فبلَّغوا السُنَن والآثار، وما جاء به من تبيين مجمل القرآن، ونهجوا طرق الأحكام، والفصل بين الحلال والحرام، صلاة تشرفه [بها][٣] في القيامة، وتوجب له الحظوة والكرامة، وتوصله إلى ما وعده به من الوسيلة والفضيلة، والدرجة الرفيعة، برحمته إنه منعم كريم.

[قال محمد بن رشد][٤]: أما بعد ما تقدم من حمد الله عزّ وجل، والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة على نبيه المصطفى، وأهل بيته المرتضى، فإن من أسباب الخير التي يسَّرها الله [تبارك وتعالى][٥] من فضله[٦]، وسبَّبها بمنه وطوله، أن دخل عليّ في صدر سنة ست وخمسمائة بعض الأصحاب من أهل جَيَّان، وبعض الطلبة من أهل شِلْب يقرأ علي في كتاب الاستلحاق من العُتْبِيَّة، فمرّ في قراءته عليّ بحضرته بأول مسألة من سماع أشهب، وهي من المسائل المشكلة، لأنه قال فيها: سألنا مالكاً أترى العمل على الحديث الذي جاء في القافة أيؤخذ بقولهم اليوم ويصدّقون؟ فقال: أما فيما تلحقه[٧] من الولد فنعم، وأما بقايا [أهل][٨] الجاهلية فلا أرى أن يؤخذ بقولهم ويصدقوا، ولا يكون ذلك إلا في ولادة الجاهلية. ووقع في بعض الكتب:

---

(٢) ما بين معقوفتين ساقط كذلك من ق ١.
(٣) ساقط من الأصل.
(٤) ساقط من ق ١.
(٥) ساقط من الأصل.
(٦) في ق ١: بفضله.
(٧) في ق ١: تلحق.
(٨) ساقط من الأصل.

وأما بقايا [أهل] الجاهلية فلا، وأرى أن يؤخذ بقولهم؛ وفي بعضها: ولا يكون ذلك في ولادة الجاهلية. فأشكلت على القارىء المسألة، كما أشكلت على من سواه، وحُقَّ لها أن تشكل عليهم لما ذكرناه من اختلاف الألفاظ فيها مع تقديم وتأخير وقع في سياقتها. وسألني أن أبيّنها عليه ففعلت وكان مما بينت عليه من أمرها أن الاختلاف الذي وقع فيها في الكتب يرجع إلى روايتين مستقيمتين، ففي الرواية الواحدة بثبت الواو في وأرى وثبت إلاّ في قوله ولا يكون ذلك إلاّ في ولادة الجاهلية [وفي الرواية الأخرى بسقط الواو من وأرى، وسقط إلاّ من قوله ولا يكون ذلك إلا في ولادة الجاهلية][٩]. وبسطت له القول في ذلك وبينت عليه وجه كل رواية منهما وما يستقيم به معناهما، فسرّ بذلك هو ومن حضر المجلس، وقالوا والله لقد ظهرت المسألة وارتفع الاشكال منها، وكم من مسألة عويصة في **العتبية** لا يفهم معناها وتحمل على غير وجهها، فلو استخرجت المسائل المشكلات منها وشرحتها وبينتها لأبقيت بذلك أثراً جميلاً يبقى عليك[١٠] ذكره، ويعود عليك ما بقيت الدنيا أجره. فقلت لهم: وأيّ المسائل هي المسائل المشكلات منها المفتقرة إلى الشرح والبيان، من الْجَلِيَّات غير المشكلات التي لا تفتقر إلى كلام ولا تحتاج إلى شرح وبيان؟! فقل مسألة منها وإن كانت جلية في ظاهرها، إلا وهي مفتقرة إلى التكلم على ما يخفى من باطنها.

ابْدَأْ من أول مسألة من كتاب الوضوء: سمعت مالكاً قال لا أرى لأحد أن يتوضأ بفضل وضوء النصراني، فأما بِسُؤره[١١] من الشراب فلا أرى بذلك بأساً. قال ابن القاسم: وقد كرهه غير مرة، وقال سحنون: إذا أمنت أن يشرب خمراً أو يأكل خنزيراً فلا بأس أن يتوضأ به، كان لضرورة أو لغير

(٩) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل.
(١٠) في ق ١: لك، وهو أنسب.
(١١) في ق ١: فأما سؤره.

ضرورة. فهذه مسألة جلية في ظاهرها، مفتقرة إلى التكلم على ما يخفى من باطنها، لأنه قال إنه لا يتوضأ بفضل وضوء النصراني، ولم يبين فضل وضوئه ما هو؟ إذ ليس من أهل الوضوء، ولا بيّن العلة في الامتناع عن الوضوء منه ما هي؟ ولا هل يمتنع من الوضوء منه مع وجود غيره؟ أو على كل حال وجد غيره أو لم يجد؟ ولا ما يجب عليه إن توضّأ به وصلى في الوجهين جميعاً؟ ولا هل له أن ينتقل إلى التيمم إن لم يجد سواه أم لا؟ والعلة في جواز ذلك إن جاز والمنع منه إن لم يجز ما هي؟ وما يكون الحكم إن انتقل إلى التيمم على القول بأنه لا ينتقل إليه، وإن لم ينتقل إليه على القول بأنه ينتقل إليه؟ ولا بيَّن العلة في الفرق بين سؤره وفضل وضوئه ما هي؟ ولا هل يستوي ذلك عنده على القول بأنه كره سؤره في جميع الأحوال أم لا؟ فهل هذا كله إلا مما يحتاج إلى بيانه؟ وكذلك يحتاج إلى معرفة[١٢] قول سحنون في تفرقته التي فرق في سؤر النصراني بين أن يؤمن أن يكون قد أكل خنزيراً أو شرب خمراً، أو لا يؤمن ذلك، هل هي خلاف لقولي مالك جميعاً؟ أو لأحدهما؟ أو تفسير لهما؟ فإذا كان الأمر على هذا أو قريب منه في أكثر المسائل، فقصد القاصد إلى التكلم على بعضها تعب وعناء بغير كبير فائدة، إذ قد لا يشكل على كثير من الناس ما يظنه هو مشكلاً فيتكلم عليه [ويشكل عليهم ما يظنه هو جلياً فيهمل التكلم عليه][١٣]. وإنما كانت تكون الفائدة التامة التي يعظم النفع بها، ويستسهل العناء فيها، أن يتكلم على جميع الديوان كله مسألة مسألة على الولاء، كي لا يشكل على [أحد من][١٤] الناس معنى في مسألة منها إلا ويجد التكلم عليها، والشفاء مما هو في نفسه منها، لأنه ديوان لم يُعن به أحد ممن تقدم كما عُنوا **بالمدونة** التي قد كثرت الشروح لها؛ على أنه كتاب

---

(١٢) في ق ١: إلى أن يعرف.

(١٣) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل.

(١٤) ساقط من ق ١.

قد عوّل عليه الشيوخ المتقدمون من القرويين والأندلسيين، واعتقدوا أن من لم يحفظه ولا تفقّه فيه كحفظه للمدونة وتفقهه فيها، بعد معرفة الأصول، وحفظه لسنن الرسول ﷺ، فليس من الراسخين في العلم، ولا من المعدودين فيمن يشار إليه من أهل الفقه.

فلما سمعوا ذلك من قولي تنبَّهوا له وشَرِهُوا إليه وحرصوا عليه، ورغبوا إليَّ فيه في غير ما موطنٍ آحاداً مفترقين، وجماعة مجتمعين، فتوقفت عن ذلك مدة مخافة العجز عن بلوغ الغرض والبغية فيه بتمامه، بقاطع يحول دون إكماله. ثمّ إن الله تعالى شرح صدري للشروع فيه، بعد أن خلصت النية في ذلك لله عزّ وجل رجاء الأجر على ذلك من الله عز وجل والمثوبة، ودعوت ضارعاً في التوفيق والمعونة، ورجوت أن يجازي الله على النية في تمامه إن حال قاطع دون ذلك، فشرعت فيه وبدأت بكتاب الوضوء من أول الديوان مسألة مسألة على الولاء، أذكر المسألة على نصها، ثمّ أشرح من ألفاظها ما يفتقر إلى شرحه، وأبين من معانيها بالبسط لها ما يحتاج إلى بيانه وبسطه، وأحصل من أقاويل العلماء فيها ما يحتاج إلى تحصيله، إذ قد تتشعَّب كثير من المسائل وتفترق شعبها في مواضع، وتختلف الأجوبة في بعضها لافتراق معانيها، وفي بعضها باختلاف القول فيها، فأبيّن موضع الوفاق منها من موضع الخلاف، وأحصّل الخلاف في الموضع الذي فيه منها الخلاف، وأذكر المعاني الموجبة لاختلاف الأجوبة فيما ليس باختلاف، وأُوَجِهُ منها ما يحتاج إلى توجيهٍ بالنظر الصحيح والرد إلى الأصول والقياس عليها، فإن تكررت المسألة في موضع آخر دون زيادة عليها ذكرتها في موضعها على نصها، وأحلت على التكلم عليها في الموضع الأول؛ وإن تكررت في موضع آخر بمعنى زائد يحتاج إلى بيانه والتكلم عليه كتبتها أيضاً على نصها وتكلمت على المعنى الزائد فيها وأحلت في بقية القول فيها على الموضع الذي تكلمت عليها فيه من الرسم والسماع الذي وقع الكلام فيه عليها، ليكون كلّ من أشكل عليه معنى من المعاني في أي مسألة كانت من

مسائل الكتاب طلبها في موضعها من الكتاب، فإما أن يَجِدَ التكلمَ عليها فيه مُسْتَوْفى، وإما أن يجد الإحالة على موضعه حيث تقدم.

ولما كمل كتاب الوضوء على هذه الصفة من استيعاب جميع مسائله على نصوصها، والتكلم على كل مسألة منها صغرت أو كبرت بما تفتقر إليه وتكمل به، سررت بما أبان[١٥] لي من عظيم الفائدة فيه، أنه احتوى مع استيعاب شرح مسائله على شرح عامة مسائل **المدونة** وتحصيل كثير من أمّهاتها لتعلقها بها بما لا مزيد عليه ولا غاية وراءه، وعلمت أنَّه إن كمل شرح جميع الديوان على هذا الترتيب والنظام، لم يحتج الطالب النبيه فيه إلى شيخ يفتح عليه معنى من معانيه، لأني اعتمدت في كل ما تكلمت عليه، بيان كل ما تفتقر المسألة إليه، بكلام مبسوط واضح موجز يسبق إلى الفهم بأيسر تأمُّل وأدنى تدبُّر، ورجوت على ذلك المثوبة من الله عز وجل، فأجهدت نفسي في التمادي على شرح بقيته حرصاً وإقبالاً، فتماديت لا آوِي إلى راحة متى ما تفرغت من ليل أو نهار، فكلما أكملت منه كتاباً ازددت من التمادي على بقيته حرصاً وإقبالاً، فتماديت إلى أن أكملت رزمة الصلاة، ورزمة النكاح، ورزمة البيوع، وشرعت في رزمة الأقضية، امتحنت بتولي القضاء، وذلك في جمادى الأولى من سنة إحدى عشرة وخمسمائة، فشغلتني أمور المسلمين عما كنت بسبيله من ذلك، ولم أقدر من التفرغ إليه على أكثر من يوم واحد في الجمعة اعتزلت فيه عن الناس إلاَّ فيما لم يكن منه بدّ، فما كمل لي على هذا منه في مدة تولية القضاء، وذلك أربعة أعوام غير أيام، إلاّ نحو أربعة كتب أو خمسة، فأيست من تمامه في بقية عمري، إلا أن يريحني الله عزّ وجلّ من ولاية القضاء، وكنت من ذلك تحت إشفاق شديد وكرب عظيم، وذكرت ذلك لأمير المسلمين [وناصر الدين][١٦] أبي الحسن علي بن يوسف،

---

(١٥) في ق ١: بَانَ.

(١٦) ساقط من الأصل.

ابن تاشفين ــ أدام الله تأييده وتوفيقه ــ في جملة الأعذار التي استعفيت بسببها، وغبَّطته بالأجر على تفريغي لتمامه، فقبل الرغبة في ذلك لرغبته فيما رغَّبته فيه من الثواب، وأسعف الطَّلِبَةَ فيه لما رجاه بأن تثقل بذلك موازينه يوم الحساب، والله يدَّخر له هذه الحسنة ويبوّئُه منها من درجات الجنة أعلى درجة برحمته؛ فواليت من حينئذ في إكمال الكتاب إلى أن كمل بحمد الله تعالى وعونه في مستهل شهر ربيع الآخر من سنة سبع عشرة وخمسمائة. والله أسأل المجازاة على ذلك برحمته.

وقد كان بعض الأصحاب سألني أن أمهد في أول كل كتاب منه مقدمة تنبىء عليه مسائله من الكتاب والسنة، وترد إليها بالقياس عليها مع الربط لها بالتقسيم والتحصيل لمعانيها، فرأيت أن أختصر ذلك في كتب هذا الديوان، اكتفاء بما اعتمدته منه في كتب **المدونة**، وذلك أني جمعت جملاً وافرة مما كنت أورده في كل كتاب منها على الأصحاب المجتمعين إلى المذاكرة فيها والمناظرة، وأقدمه وأمهده من معنى اسمه واشتقاق لفظه وتبيين أصله من الكتاب والسنة، وما اتفق عليه أهل العلم من ذلك أو اختلفوا فيه، ووجه بناء مسائله عليه وردها إليه، بالتقسيم لها والتحصيل لمعانيها، جرياً على سنن شيخنا الفقيه أبي جعفر بن رزق ــ رحمه الله ــ وطريقته في ذلك، واقتفاء لأثره فيه، وإن كنت أكثر احتفالاً منه في ذلك، لا سيما في أول كتاب الوضوء، فإني كنت أشبع القول فيه ببنائي إياه على مقدمات من الاعتقادات في أصول الديانات، وأصول الفقه في الأحكام الشرعيات، لا يسع جهلها، ولا يستقيم التفقه في حكم من أحكام الشرع قبلها، فله الفضل في التقدم والسبق[١٧]، فإنه نهج الطريق وأوضح السبيل ودل عليه بما كان يعتمده من ذلك مما لم يسبقه من تقدم من شيوخه إليه، وليس ذلك بغريب، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ومبلِّغ حديث إلى من هو أوعى له منه، والتوفيق بيد

(١٧) انقلبت هذه العبارة في ق ١، فكتبت: فله التقدم في الفضل والسبق.

الله يوتيه من يشاء. ووصلت ما جمعت من ذلك ببعض ما استطرد القول فيه من أعيان مسائل وقعت في **المدونة** ناقصة مفترقة، فذكرتها مجموعة ملخصة مشروحة بعللها، فاجتمع من ذلك تأليف مفيد ينتهي أزيد من خمسة وعشرين جزءاً، سميته بكتاب **المُقدِّمات المُمَهِّدات** لبناء ما اقتضته رسوم **المدونة** من الأحكام الشرعيات، والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، إلا أنه كتاب لم يتخلص بعد، فإذا تخلص بعون الله تعالى ونُقل من مسودته إن شاء الله تعالى، وجمعه الطالب إلى هذا الكتاب، حصل على معرفة ما لا يَسَعُ جهله من أصول الديانات وأصول الفقه، وعرف العلم من طريقه، وأخذه من بابه وسبيله، وأحكم رد الفرع إلى أصله، واستغنى بمعرفة ذلك كله عن الشيوخ في المشكلات، وحصل في درجة من يجب تقليده في النوازل المعضلات، ودخل في زمرة العلماء الذين أثنى الله تعالى عليهم في غير ما آيةٍ من كتابه ووعدهم[١٨] فيه بترفيع الدرجات. والله تعالى أسأله التوفيق برحمته.

(١٨) في ق ١: وعددهم.